ركائزُ ثقافةِ السَّلام في الأديانِ

السَّيِّد علي الأمين(*)

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

فضيلةَ الإمامِ الأكبرِ الدكتور أحمد الطَّيِّب.

أصحابَ الغبطةِ والنيافةِ والسيادةِ والسماحةِ.

الإخوةُ والأخواتُ.

السَّلامُ عليكم جميعًا ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

إن الناظرَ في سيرةِ الأنبياءِ والرسلِ ورسالاتِهم الدينيةِ يعلمُ بأن السَّلامَ يقعُ في صميمِ دعوتهم، التي اتَّسمَت بالدعوةِ إلى اللهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، والتي تضمَّنت وصاياهم وتعاليمَهم، التي تنهى عن سفكِ الدماءِ، وعن الظلمِ والعدوانِ، والتي تدعو إلى مكارمِ الأخلاقِ، وإلى حفظِ الحقوقِ؛ بإقامة العدلِ بين الناسِ، فإن كلَّ هذه الوصايا والتعاليمَ تُشكِّلُ مدرسةً لثقافةِ السَّلامِ بين الأممِ والشعوبِ.

وقد جاءَ في قولِ اللهِ تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** [البَقَرَة: ٢١٣]، وهذه الآية تدُلُّنا على قيامِ الدعوةِ على التبشيرِ بتلك الوصايا، والتحذيرِ من مخالفتها، والعملِ بالحقِّ، والرجوعِ إليه في فضِّ الخلافاتِ والنزاعاتِ التي

تحصُلُ بين الناسِ؛ حفاظًا على وَحدتِهم التي قامت على أساسِ الفطرةِ السليمةِ التي خلقهمُ اللهُ عليها.

والمطلوبُ عند البحثِ عن ركائزِ ثقافةِ السَّلام في الأديانِ أن نرجعَ إلى النصوصِ الدينيةِ في الرسالاتِ السماويةِ بعيدًا عن العودةِ إلى التاريخِ في الماضي البعيدِ والقريبِ؛ لأن ما وصلنا من التاريخِ فيه الصحيحُ وغيرُه .. والصحيحُ منه ليس بالضرورةِ أن يكونَ فيه التطبيقُ الصحيحُ لتلك النصوصِ؛ فالتاريخُ هو من صُنعِ البشر الذين يُخطئون ويُصيبون، وقد امتلأ التاريخُ بالصراعاتِ الدمويةِ في عصورٍ عديدةٍ تحت شِعاراتٍ مختلفةٍ من الدينِ والدنيا، ومن الخطأ أن نجعلَ من أحداثِ التاريخِ حاكمًا ومفسِّرًا لتلك النصوصِ الدينيةِ المشتملةِ على قواعدِ الفكرِ والسلوكِ، بل العكسُ هو الصحيحُ، فنحن يجبُ أن نُحاكمَ التاريخَ وأحداثَه ورجالَه انطلاقًا من تلك النصوصِ؛ لأنها بمثابةِ الموادِّ القانونيةِ التي نرجعُ إليها في المحاكمةِ، وعلى أساسها تتمُّ التخطئةُ والتصويبُ.

إن الحروبَ والنزاعاتِ وما يَنتُجُ عنها من المآسي لم تكُن بسببِ الأديانِ، وإنما كانت بسبب طموحاتِ الإنسانِ غيرِ المشروعةِ للسلطةِ والسيطرةِ والنفوذِ، وهذه الحروبُ قد ظهرت قبل المذاهبِ والأديانِ وبعدها، وقد أزهقتِ الحربُ العالميةُ الأولى والثانيةُ قُرابةَ مئةِ مليون قتيلٍ، والأسبابُ لم تكُن دينيةً، وإن تمَّ استغلالُ الأديان في بعض الحروب بالباطلِ أحيانًا، والتلاعبُ بنصوصها وتشويهُها من أجلِ تبرير تلك المُنكراتِ باسمِ اللهِ والدِّينِ؛ فالمسيحيةُ ليست مسئولةً عما جرى

من حروبٍ باسمها، والإسلامُ ليس مسئولًا عما جرىٰ من حروبٍ باسمه؛ فالإنجيلُ الذي يقول: «لا تقتل»، و«طُوبىٰ لصانعي السَّلامِ» ليس مسؤولًا عن القتلِ والظلمِ، والقرآنُ الذي يقولُ: **وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَّ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**(190) [البَقَرَة: ١٩٠] **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** [البَقَرَة: ٢٠٨]، مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا [المَائدة: ٣٢] ليس مسئولًا عن العدوانِ والقتلِ، وليس يبقىٰ مِن فاعلٍ للإثمِ والعدوانِ سوىٰ هذا الإنسانِ الذي ابتعد بأطماعِه وخطاياه عن اللهَّ الرحيمِ والرحمنِ.

وانطلاقًا من هذه الآياتِ وغيرِها نقول بإيجازٍ تعقيبًا علىٰ التساؤل الذي طُرِحَ في الجَلسةِ عن وجود حربٍ مقدسةٍ وحربٍ غيرِ مقدَّسةٍ في الأديانِ: إن الحرب لا تُوصَفُ بالمقدَّسةِ، وإنما هي تُوصَفُ بأنها حربٌ مشروعةٌ أو غيرُ مشروعةٍ، فإن كانت للدفاعِ فهي حربٌ مشروعةٌ، كما ورد في قول اللهَّ تعالىٰ: **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَّ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** (39) [الحَجّ: ٣٩].

وكما قال سماحةُ الإمامِ الأكبر شيخ الأزهرِ الدكتور أحمد الطيب في بعض لقاءاته بأنَّ الجهاد هو جهادُ دفعٍ، فهي إذن تدخلُ تحت قاعدةِ: الضروراتُ تُبيحُ المحظوراتِ، والتي تُقَدَّر بقدرِها، وهذا يَعني أن الحربَ في الأصل لا تكونُ من الأمورِ المشروعةِ، وإنما تكونُ مندرجةً تحتَ المحظوراتِ.

إن ثقافةَ السَّلامِ في الأديان يجبُ أن تنطلق من المسجدِ والكنيسةِ والمعاهدِ الدينيةِ، ويجب التأكيدُ عليها كمادةٍ تعليميةٍ عالميةٍ، ولا يجوز أن تقتصرَ علىٰ دَعَواتٍ تَصدُرُ

من بعض الاجتماعاتِ واللقاءاتِ، بل لا بد من تحويلها إلى لقاءاتٍ دائمةٍ عبر تشكيلِ المعهدِ العالميِّ للسلامِ، والدراساتِ المشتركةِ للأديانِ، الذي يلتحقُ به الشيخُ والخُوريُّ وطلابُ الحوار والسَّلام من كلِّ المذاهبِ والأديانِ، ويكون هذا المعهدُ برعاية الفاتيكانِ والأزهرِ، ويتخرجُ منه الطلابُ الذين يحملون رسالةَ السَّلام والحوار؛ لنشرها بين الأممِ والشعوبِ.

إن الواقع الذي يَشهَدُه العالمُ اليوم؛ من التسابُقِ لدى بعضِ الدولِ على صناعةِ أسلحةِ الدمارِ الشاملِ، وساحاتٍ من حروبٍ، واحتكامٍ إلى السِّلاح في بعض المناطق لحلِّ النزاعات -هو أكبرُ دليلٍ على عجزِ المجتمعِ الدوليِّ والمؤسَّساتِ المُنبثِقةِ عنه عن وضع الأسسِ التي تُبدِّدُ مخاوفَ البشرِ منِ اندلاعِ حربٍ مدمرةٍ تُهدِّدُ مصيرَ البشريةِ ومستقبلَها على كوكبِ الأرضِ، والتي تمنعُ منِ اندلاعِ حروبٍ متنقِّلةٍ في مناطقَ مختلفةٍ من العالمِ بسبب النزاعاتِ التي يُحتكَمُ فيها إلى السِّلاحِ، خلافًا للقراراتِ الدوليةِ، وهذا مما يعكس ضعفًا في السبل المعتمدة لتحقيقِ السَّلامِ، ويعكس أيضًا الضعفَ في انتشار ثقافةِ السَّلامِ بين الدولِ والشعوبِ؛ لذا فإن المأمولَ من الأممِ المتحدةِ -ومِن ورائها الدولُ وشعوبُها- أن تعمل على منعِ اندلاعِ الحروبِ، فإننا بالعمل على ذلك نكونُ من صانعي السَّلامِ الحقيقيِّ في هذا العالمِ، وبذلك نكونُ من الذين يستحقُّون قولَ السيد المسيح: «طوبى لصانعي السَّلام»، ولا يصحُّ أن ننتظر وقوعَ الحروب لنبحثَ عن إرسال

قواتٍ لحفظِ السَّلامِ بين المتقاتلين ، فإن المنعَ من إشعالِ النارِ أَولَىٰ من العملِ علىٰ إطفائها بعدَ اشتعالِها.

شكرًا لكم.

والسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه

❊ ❊ ❊